

(٦٥) [الرحمن، الرحيم]

قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾﴾ [الرحمن: ١، ٢].

وقال - عز وجل -: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥].

وقال سبحانه: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ ﴿٤٥﴾﴾

[مريم: ٤٥].

والآيات في ذكر اسم (الرحمن) كثيرة جاءت في (٥٧) موضعاً من القرآن.

أما اسمه (الرحيم) فقد جاء في (١٢٣) موضعاً من القرآن الكريم أكثرها كان مقترناً باسمه سبحانه (الغفور) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ [الفاتحة: ٣].

وقوله - عز وجل -: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْغَزِيُّ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾ [الشعراء: ١٩١].

المعاني الكريمة لهذين الاسمين الجليلين:

هذان الاسمان الكريمان مشتقان من (الرحمة) على وجه المبالغة وهي الرقة والتعطف وإن كان اسم (الرحمن) أشد مبالغة من اسم (الرحيم)، لأن بناء فعلان أشد مبالغة من فعيل وبناء فعلان: للسعة والشمول، واتفق أهل العلم على أن اسم (الرحمن) عربي لفظه، وفي الحديث

القدسي: (أنا الرحمن ، خلقت الرحم، وشققت لها اسماً من اسمي...)
الحديث (١).

فقد دل هذا الحديث على الاشتقاق. وكانت العرب تعرف هذا الاسم في لغتها.

قال الله - عز وجل - : ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ﴾ [الزخرف: ٢٠]. وجاء في أشعارهم قول الشاعر :

وعجلتم علينا إذ عجلنا عليكم وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق (٢)
الفرق بين الاسمين: فرق بعض أهل العلم بين هذين الاسمين الكريمين بالفروق التالية:

أولاً: أن اسم (الرحمن): هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة.

وأما اسم (الرحيم): فهو ذو الرحمة للمؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣]. ولكن يشكل على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٣٤١]، وقوله تعالى: ﴿ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [الإسراء: ٦٦].

(١) أحمد في المسند (١٦٨٦)، وأبو داود في سننه (١٦٩٤) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٢٠).

(٢) انظر النهج الأسمى محمد حمود النجدي ١/ ٧٥، ٧٦.

ثانياً: أن اسم (الرحمن) دال على الرحمة الذاتية، و(الرحيم) دال على الرحمة الفعلية؛ يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن (الرحمن) دال على الصفة القائمة به سبحانه و(الرحيم) دال على تعلقها بالمرحوم. فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفتة، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته.

وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿١٦٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ بِهِمْ رءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧].

ولم يجيء قط (رحمن بهم) فعلم أن (الرحمن) هو الموصوف بالرحمة، و(الرحيم) هو الرحيم برحمته^(١).

ويقول في موطن آخر: «ولم يجيء رحمن بعباده ولا رحمن بالمؤمنين؛ مع ما في اسم (الرحمن) - الذي هو على وزن فعلان - من سعة هذا الوصف؛ وثبوت جميع معناه للموصوف به. ألا ترى أنهم يقولون: غضبان للممتلى غضباً؛ وندمان، وحيران، وسكران، ولهفان، لمن ملئ بذلك، فبناء فعلان للسعة والشمول.

ولهذا يقرن استواءه على العرش بهذا الاسم كثيراً، كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥]: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ ﴿٥٩﴾﴾ [الفرقان: ٥٩].

(١) بدائع الفوائد ١/ ٢٤.

فاستوى على عرشه باسم الرحمن، لأن العرش محيطٌ بالمخلوقات؛ قد وسعها، والرحمة محيطة بالخلق؛ واسعة لهم، كما قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات، فلذلك وسعت رحمته كل شيء.

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لما قضى الله الخلق: كتب في كتاب - فهو عنده موضوعٌ على العرش - إن رحمتي تغلب غضبي)^(١). وفي لفظ: (فهو عنده على العرش)^(٢).

فتأمل اختصاص هذا الكتاب بذكر الرحمة؛ ووضعه عنده على العرش، وطابق بين ذلك وبين قوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ﴿ طه: ٥ ﴾. وقوله: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَأَلَ بِهِ خَيْرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩] يفتح لك باباً عظيماً من معرفة الرب - تبارك وتعالى - إن لم يغلقه عنك التعطيل والتجهم^(٣).

ثالثاً: اسم (الرحمن) من الأسماء التي لا يجوز للمخلوق أن يتسمى بها؛ قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء: ١١٠] فعادل به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره وهو (الله) - جل جلاله - وأما (الرحيم) فإنه تعالى وصف به نبيه صلى الله عليه وسلم حيث قال: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

(١) البخاري (٧٤٠٤)، ومسلم: (٢٧٥١).

(٢) البخاري: (٣١٩٤).

(٣) مدارج السالكين ١/ ٣٤.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره، ومنها ما لا يسمى به غيره كاسم (الله)، (الرحمن)، (الخالق)، (الرازق) ونحو ذلك؛ ولهذا بدأ باسم الله الموصوف (بالرحمن) لأنه أخص وأعرف من (الرحيم)؛ لأن التسمية أولاً إنما تكون بأشرف الأسماء؛ فلهذا ابتداء بالأخص فالأخص»^(١).

إثبات صفة الرحمة لله رب العالمين:

صفة (الرحمة) من الصفات الثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة. وهي صفة كمال لا ثقة بذاته سبحانه كسائر الصفات، لا يجوز أن تنفيها أو تؤولها أو تحرفها أو تقوض معناها أو تكيفها كما هو مقرر في مذهب أهل السنة والجماعة في جميع الصفات. ويرد الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - على القائلين من أهل البدع بأن رحمة الله مجاز، وأنها عبارة عن إنعامه على عباده، وإحسانه إليهم من عدة وجوه منها:

«الأول: إن الإلحاد إما أن يكون بإنكار لفظ الاسم أو إنكار معناه، فإن كان إنكار لفظه إلحاداً فمن ادعى أن (الرحمن) مجاز لا حقيقة؛ فإنه يجوز إطلاق القول بنفيها فلا يستنكف أن يقول: ليس (بالرحمن) ولا (الرحيم) كما يصح أن يقال: للرجل الشجاع ليس بأسد على الحقيقة، وإن قالوا: نتأدب في إطلاق هذا النفي، فالأدب لا يمنع صحة الإطلاق. وإن كان الإلحاد هو إنكار معاني أسمائه وحقائقها فقد أنكرتم معانيها التي تدل عليها بإطلاقها، وما صرفتموها إليه من المجاز فنقيض معناها، أو

(١) تفسير ابن كثير ٢١/١.

لازم من لوازم معناها، وليس هو الحقيقة، ولهذا يصرح غلاتهم بإنكار معانيها بالكلية ويقولون: هي ألفاظ لا معاني لها.

الرد الثاني: إن هذا الحامل لكم على دعوى المجاز في اسم (الرحمن) هو بعينه موجود في اسم (العليم والقدير والسميع والبصير) وسائر الأسماء.

فإن المعقول من العلم صفة عرضية تقوم بالقلب إما ضرورية، وإما نظرية، والمعقول من الإرادة حركة النفس الناطقة لجلب ما ينفعها ودفع ما يضرها، أو ينفع غيرها أو يضره.

والمعقول من القدرة القوة القائمة بجسم تتأني به الأفعال الاختيارية فهل تجعلون إطلاق هذه الأسماء والصفات على الله حقيقة أم مجازاً؟

فإن قلت: حقيقة تناقضتم أقيح التناقض، إذ عمدتم إلى صفاته سبحانه فجعلتم بعضها حقيقة وبعضها مجازاً، مع وجود المحذور فيما جعلتموه حقيقة.

وإن قلت: لا يستلزم ذلك محذوراً، فمن أين استلزم اسم (الرحمن) المحذور؟ وإن قلت: الكل مجاز، لم تمكنوا بعد ذلك من إثبات حقيقة لله البتة، لا في أسمائه، ولا في الإخبار عنه بأفعاله وصفاته وهذا انسلاخ من العقل والإنسانية.

الرد الثالث: إن نفاة الصفات يلزمهم نفي الأسماء من جهة أخرى، فإن (العليم والقدير والسميع والبصير) أسماء تتضمن ثبوت الصفات في اللغة فيمن وصف بها، فاستعمالها لغير من وصف بها، استعمال للاسم في غير ما وضع له، فكما انتفت عنه حقائقها؛ فإنه تنتفي عنه أسماؤها، فإن الاسم المشتق تابع للمشتق منه في النفي والإثبات، فإذا

انتفت حقيقة الرحمة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر انتفت الأسماء المشتقة منها عقلاً ولغة، فيلزم من نفي الحقيقة أن تنفي الصفة والاسم جميعاً.

الرد الرابع: إنه كيف يكون أظهر الأسماء التي افتتح الله بها كتابه في أم القرآن وهي من أظهر شعار التوحيد، والكلمة الجارية على السنة أهل الإسلام وهي: بسم الله الرحمن الرحيم التي هي مفتاح الطهور والصلاة وجميع الأفعال، فكيف يكون مجازاً؟

الرد الخامس: قولهم: الرحمة رقة القلب، تريدون رحمة المخلوق أم رحمة الخالق؟ أم كل ما سمي رحمة شاهداً أو غائباً؟

فإن قلتم: بالأول صدقتم ولم ينفعكم ذلك شيئاً، وإن قلتم: بالثاني والثالث كتتم قائلين غير الحق، فإن الرحمة صفة الرحيم وهي في كل موصوف بحسبه، فإن كان الموصوف حيواناً له قلب فرحمته من جنسه رقة قائمة بقلبه، وإن كان ملكاً فرحمته تناسب ذاته.

فإذا اتصف أرحم الراحمين بالرحمة حقيقة لم يلزم أن تكون رحمته من جنس رحمة المخلوق لمخلوق.

وهذا يطرد في سائر الصفات كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والإرادة إلزاماً ووجوباً، فكيف يكون رحمة أرحم الراحمين مجازاً دون السميع العليم؟

الرد السادس: إنه من أعظم المحال أن تكون رحمة أرحم الراحمين التي وسعت كل شيء مجازاً ورحمة العبد الضعيف القاصرة المخلوقة المستعارة من ربه التي هي من آثار رحمته حقيقة. وهل في قلب الحقائق أكثر من هذا؟

الرد السابع: ما رواه أهل السنن عن النبي ﷺ أنه قال: يقول الله تعالى: (أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته)^(١).

فهذا صريح في أن اسم الرحم مشتق من اسمه (الرحمن) تعالى، فدل على أن رحمته لما كانت هي الأصل في المعنى كانت هي الأصل في اللفظ ومثل هذا: قول حسان رضي الله عنه في النبي ﷺ:

فَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فِدْوُ الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ

فإذا كانت أسماء الخلق الممدوحة مشتقة من أسماء الله الحسنى كانت أسماؤه يقيماً سابقة فيجب أن تكون حقيقة، لأنها لو كانت مجازاً، لكانت الحقيقة سابقة لها، فإن المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له فيكون اللفظ قد سمي به المخلوق ثم نقل إلى الخالق وهذا باطل قطعاً.

الرد الثامن: ما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (لما قضى الله الخلق كتب كتاباً فهو موضوعٌ عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي)^(٢)، وفي لفظ: (غلبت).

وقال تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤]، فوصف نفسه سبحانه بالرحمة وتسمى بالرحمن قبل أن يكون بنو آدم.

فادعاء المدعي أن وصفه بالرحمن مجاز من أبطل الباطل.

(١) الترمذي (١٩٠٧)، وأحمد (١٦٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (١٥٥٧).

(٢) البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

الرد التاسع: إنه من المعلوم أن المعنى المستعار يكون في المستعار منه أكمل في المستعار له، وأن المعنى الذي دل عليه اللفظ بالحقيقة أكمل من المعنى الذي دل عليه بالمجاز، وإنما يستعار لتكميل المعنى المجازي تشبيهه بالحقيقي، كما يستعار الشمس، والقمر، والبحر للرجل الشجاع، والجميل، والجواد. فإذا جعل (الرحمن والرحيم والودود) وغيرهما من أسمائه سبحانه حقيقة في العبد، مجازاً في (الرب)، لزم أن تكون هذه الصفات في العبد أكمل منها في (الرب) تعالى.

الرد العاشر: إن الله سبحانه وتعالى فرق بين رحمته، ورضوانه، وثوابه المنفصل فقال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتِ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [التوبة: ٢١].

فالرحمة والرضوان صفتيه، والجنة ثوابه، وهذا يبطل قول من جعل الرحمة والرضوان ثواباً منفصلاً مخلوقاً، وقول من قال هي إرادته الإحسان، فإن إرادته الإحسان هي من لوازم الرحمة، فإنه يلزم من الرحمة أن يريد الإحسان إلى المرحوم فإذا انتفت حقيقة الرحمة انتفى لازمها وهو إرادة الإحسان^(١).

ويقول في موطن آخر: «إن (الرب) يستحيل أن يكون إلا (رحيماً)، فرحمته من لوازم ذاته، ولهذا كتب على نفسه الرحمة؛ ولم يكتب على نفسه الغضب، فهو لم يزل ولا يزال (رحيماً) ولا يجوز أن يقال: إنه لم

(١) مختصر الصواعق المرسله «باختصار» ص ١١٢ - ١٢٦.

يزل ولا يزال غضباناً، ولا أن غضبه من لوازم ذاته، ولا أنه كتب على نفسه العقوبة والغضب، ولا أن غضبه يغلب رحمته ويسبقها^(١).

والرحمة المضافة إلى الله تعالى نوعان:

الأول: رحمة ذاتية موصوف بها سبحانه على الوجه اللائق به سبحانه كسائر صفاته، يجب إثباتها لله - عز وجل - من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل. كما قال سبحانه: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

الثاني: رحمة مخلوقة أنزل الله - عز وجل - منها رحمة واحدة يتراحم بها الخلائق وأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيامة كما جاء في قوله ﷺ: (إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها؛ وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة)^(٢). ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله ﷺ: (أن الله - عز وجل - قال عن الجنة: «أنت رحمتي أرحم بك من أشياء...» الحديث^(٣))؛ وهذه الرحمة من باب إضافة المفعول إلى فاعله، وهذه الرحمة ليست صفة لله تعالى، بل هي من أثر رحمته التي هي صفته الذاتية الفعلية.

(١) مختصر الصواعق المرسله: ٢٥٩/١.

(٢) مسلم (٢٧٥٢).

(٣) مسلم (٢٨٤٦).

ورحمة الله عز وجل لعباده نوعان :

الأولى - رحمة عامة:

وهي لجميع الخلائق بإيجادهم، وتربيتهم، ورزقهم، وإمدادهم بالنعيم والعطايا، وتصحيح أبدانهم، وتسخير المخلوقات من نبات وحيوان وجماد في طعامهم وشرابهم، ومساكنهم، ولباسهم، ونومهم، وحركاتهم، وسكناتهم، وغير ذلك من النعم التي لا تعد ولا تحصى.

قال الله - عز وجل - : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، يقول الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - عند هذه الآية: «وهذه هي الرحمة العامة التي تشمل جميع المخلوقات، حتى الكفار؛ لأن الله قرن الرحمة هذه مع العلم؛ فكل ما بلغه علم الله، وعلم الله بالغ لكل شيء؛ فقد بلغته رحمته؛ فكما يعلم الكافر؛ يرحم الكافر أيضاً.

لكن رحمته للكافر رحمة جسدية بدنية دنيوية مختصة بالدنيا؛ فالذي يرزق الكافر هو الله الذي؛ يرزقه بالطعام والشراب واللباس والمسكن والمنكح وغير ذلك»^(١).

الثانية - رحمة خاصة:

وهذه الرحمة لا تكون إلا للمؤمنين فيرحمهم الله - عز وجل - في الدنيا بتوفيقهم إلى الهداية والصراط المستقيم، ويشبههم عليه، ويدافع عنهم وينصرهم على الكافرين ويرزقهم الحياة الطيبة ويبارك لهم فيما أعطاهم، ويمدهم بالصبر واليقين عند المصائب ويغفر لهم ذنوبهم

(١) شرح العقيدة الواسطية (بتصرف سير) ٢٤٩/١.

ويكفرها بالمصائب ويرحمهم في الآخرة بالعفو عن سيئاتهم والرضا عنهم والإنعام عليهم بدخولهم الجنة ونجاتهم من عذابه - عز وجل - ونقمتهم. وهذه الرحمة هي التي جاء ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣].

يقول الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - عن هذه الرحمة الخاصة بعد حديثه عن الرحمة العامة: «أما المؤمنون؛ فرحمتهم رحمة أخص من هذه وأعظم؛ لأنها رحمة إيمانية دينية دنيوية.

ولهذا تجد المؤمن أحسن حالاً من الكافر، حتى في أمور الدنيا؛ لأن الله يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧] الحياة الطيبة هذه مفقودة بالنسبة للكفار، حياتهم كحياة البهائم.. لكن المؤمن إن أصابته ضراء صبر واحتسب الأجر على الله - عز وجل - وإن أصابته سراء شكر فهو في خير في هذا، وفي هذا وقلبه منشرح مطمئن»^(١).

وقال عند قوله تبارك وتعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾.

(قوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾: متعلق بـ(رحيم)، وتقديم المفعول يدل على الحصر، فيكون معنى الآية: وكان بالمؤمنين لا غيرهم رحيمًا.

ولكن كيف نجمع بين هذه الآية والتي قبلها: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴿٤٣﴾﴾ نقول: الرحمة التي هنا غير الرحمة التي هناك. هذه

(١) شرح العقيدة الواسطية ١/ ٢٤٩.

رحمة خاصة متصلة برحمة الآخرة لا ينالها الكفار؛ بخلاف الأولى. هذا هو الجمع بينهما، وإلا فكلٌ مرحوم، لكن فرق بين الرحمة الخاصة والرحمة العامة (١).

ذكر بعض آثار رحمة الله - عز وجل - في خلقه وأمره:

آثار رحمة الله - عز وجل - لا تعد ولا تحصى إذ إن رحمة الله - عز وجل - قد وسعت كل شيء فكما أن علم الله - عز وجل - قد وسع كل شيء ولم يخف عليه أي شيء فكذلك رحمته سبحانه قد بلغت كل شيء بلغه علمه سبحانه قال الله - عز وجل -: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿ الَّذِينَ تَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «فوسعت رحمته كل شيء، ووسعت نعمته كل حي، فبلغت رحمته حيث بلغ علمه» (٢).

وقال سبحانه عن نعمه التي هي من آثار رحمته: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وأسوق فيما يلي بعضاً من آثار رحمة الله تعالى في خلقه وشرعه، وإلا فإن رحمة الله - عز وجل - قد وسعت كل شيء ولا يحيطها عقل ولا

(١) شرح العقيدة الواسطية ١/ ٢٥١.

(٢) الصلاة وحكم تاركها ص ١٧٣.

حصر ولا عد. إذ كل ما يقع عليه السمع والبصر فرحمة الله - عز وجل - فيه بادية، وما يخفى على السمع والبصر من آثار رحمة الله تعالى أعظم وأكثر. أولاً: تظهر آثار رحمة الله - عز وجل - في كل ما خلق الله - عز وجل - سواء في هذا الكون العريض وما فيه من المخلوقات العظيمة المسخرة بأمره سبحانه وما فيها من المنافع والرحمة لعباده، أو ما في خلق الإنسان من الآيات الدالة على عظمته سبحانه ورحمته - عز وجل - بهذا الإنسان، حيث خلقه في أحسن تقويم وأقام جسمه وروحه، وأعطاه العقل وقواه، وأمده وأعدده ورزقه وأنعم عليه بنعمه الظاهرة والباطنة. ولو ذهبنا نستعرض آثار رحمة الله تعالى في الآفاق وفي الأنفس لفنيت الأعمار ولم تنته من حصرها وعددها مع أنها جزء من مائة جزء من رحمته.

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في وصفه لشمول رحمة الله تعالى: «وأنت لو تأملت العالم بعين البصيرة لرأيت ممتلئاً بهذه الرحمة الواحدة كامتلاء البحر بمائه والجو بهوائه.. فسبحان من أعمى بصيرة من زعم أن رحمة الله مجاز»^(١).

قال الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الجاثية: ١٣].
وقال سبحانه: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ تُوْحَىٰ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ ﴾ [الروم: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [التين: ٤].
وقال - عز وجل - : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾

(١) مختصر الصواعق المرسله ٢/ ٣٥٠ «باختصار».

الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾
[الانفطار: ٦ - ٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ
الْبَيَانَ ﴿٤﴾ [الرحمن: ١ - ٤].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «وتأمل قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ [الرحمن: ١ - ٤] كيف جعل الخلق والتعليم ناشئاً عن صفة الرحمة متعلقاً باسم (الرحمن)، وجعل معاني السورة مرتبطة بهذا الاسم وختمها بقوله: ﴿ تَبَرَّكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ [الرحمن: ٧٨]، فالاسم الذي تبارك هو الاسم الذي افتتح به السورة، إذ مجيء البركة كلها منه، وبه وضعت البركة في كل مبارك فكل ما ذكر عليه بورك فيه، وكل ما أخلي منه نزعته منه البركة.

... وبرحمته أطلع الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار، وبسط الأرض وجعلها مهاداً وفراشاً وقراراً وكفائاً للأحياء والأموات، وبرحمته أنشأ السحاب وأمطر المطر، وأطلع الفواكه والأقوات والمرعى، ومن رحمته سخر لنا الخيل والإبل والأنعام وذلّلها منقاداً للركوب والحمل والأكل... ومن رحمته أن خلق للذكر من الحيوان أنثى من جنسه وألقى بينهما المحبة والرحمة، ليقع بينهما التواصل الذي به دوام التناسل وانتفاع الزوجين، ويمتع كل واحد منهما بصاحبه.

ومن رحمته أحوج الخلق بعضهم إلى بعض لتتم مصالحهم، ولو أغنى بعضهم عن بعض لتعطلت مصالحهم، وانحل نظامهم، وكان

من تمام رحمته بهم أن جعل فيهم الغني والفقير، والعزيز والذليل، والعاجز والقادر، والمراعي والمرعي، ثم أفقر الجميع إليه ثم عم الجميع برحمته»^(١).

ثانياً: وأعظم آثار رحمته سبحانه إرساله الرسل وإنزاله الكتب هداية للناس وإخراجاً لهم من الظلمات إلى النور. فالرسل رحمة من عند الله - عز وجل - لعباده قال الله - عز وجل -: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [١٧]. [الأنبياء: ١٠٧].

وقال سبحانه: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَنُذْرًا لِّلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

فبرحمته أرسل الرسل وأنزل الكتب هداية للبشر، ولتعريفهم بربهم سبحانه وأسمائه وصفاته، وكيفية عبادته لينقلهم برحمته من الجهالة إلى العلم ومن الغي إلى الرشd، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن النار إلى الجنة فسبحان أرحم الراحمين وخير الرازقين.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «برحمته أرسل إلينا رسوله ﷺ، وأنزل علينا كتابه وعلمنا من الجهالة، وهدانا من الضلالة، وبصّرنا من العمى، وأرشدنا من الغي.

وبرحمته عرفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا، وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم، وأرشدنا لمصالح ديننا ودنيانا...

(١) مختصر الصواعق المرسله ٢ / ١٢٢ - ١٢٤ «بتصرف يسير».

... وكان عن صفة الرحمة الجنة وسكانها وأعمالهم، فبرحمته خلقت، وبرحمته عُمرت بأهلها، وبرحمته وصلوا إليها، وبرحمته طاب عيشهم فيها. وبرحمته احتجب عن خلقه بالنور ولو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه...»^(١).

ويقول أيضاً: «من أعطى اسم (الرحمن) حقه: عرف أنه متضمنٌ لإرسال الرسل وإنزال الكتب أعظم من تضمُّنه إنزال الغيث وإنبات الكلاء وإخراج الحبّ.

فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح: أعظم من اقتضاءها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح، لكن المحجوبون إنما أدركوا من هذا الاسم حظَّ البهائم والدوابِّ، وأدرك منه أولو الألباب أمراً وراء ذلك»^(٢).

ثالثاً: ومن رحمته سبحانه مغفرته لذنوب عباده والصفح عنهم، وتكفير سيئاتهم، وفتح باب التوبة لهم.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «ومن رحمته أنه يعيد من سخطه برضاه، ومن عقوبته بعفوه، ومن نفسه بنفسه... وأوسع المخلوقات عرشه، وأوسع الصفات رحمته، فاستوى على عرشه الذي هو أوسع المخلوقات بصفة رحمته التي وسعت كل شيء.

(١) مختصر الصواعق المرسله ٢/ ١٢٣.

(٢) مدارج السالكين ٨/ ١.

ولما استوى على عرشه بهذا الاسم الذي اشتقه من صفته وتسمى به دون خلقه، كتب مقتضاه على نفسه يوم استوائه على عرشه حين قضى الخلق كتاباً فهو عنده وضعه على عرشه «إن رحمته سبقت غضبه» وكان هذا الكتاب العظيم الشأن كالعهد منه سبحانه للخلقة كلها بالرحمة لهم، والعفو عنهم، والصفح عنهم، والمغفرة، والتجاوز، والستر، والإمهال، والحلم، والأناة. فكان قيام العالم العلوي والسفلي بمضمون هذا الكتاب، الذي لولاه لكان للخلق شأن آخر»^(١).

وتتجلى رحمة الله - عز وجل - بعباده التائبين في أجلى صورها فيما أخبر به الرسول ﷺ بفرح الله - عز وجل - بتوبة عبده وقبوله لتوبة التائبين.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾

[الشورى: ٢٥].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الله أفرح بتوبة عبده - حين يتوب إليه - من أحدكم، كان على راحلة بأرض فلاة؛ فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه. فأيس منها. فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده. فأخذ بخطامها. ثم قال - من شدة الفرح - اللهم أنت عبدي وأنا ربك.

(١) مختصر الصواعق المرسله ٢/ ١٢١ - ١٢٢. وانظر إلى مزيد من تفاصيل آثار - رحمة الله

تعالى - وحكمته في خلقه في الكتاب النفيس (مفتاح دار السعادة) لابن القيم رحمه الله تعالى.

أخطأ من شدة الفرح^(١) هذا لفظ مسلم. ولا يهلك على الله إلا هالك ولا يخرج عن رحمة الله تعالى إلا من يعلم الله تعالى أنه لا يستحق الرحمة البتة، وهم القوم الكافرون؛ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧] ويمكن أن نجد هذا المعنى في قول إبراهيم عليه السلام وهو يدعو أباه الكافر: ﴿ يَتَأْتِبِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابُ مَنْ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٥]، فاختيار إبراهيم عليه السلام: اسم (الرحمن) في تحذير أبيه من العذاب فيه سر لطيف لأن المتبادر للعقل أن يربط العذاب باسم من أسمائه سبحانه يناسب العقاب أما أن يربط العذاب باسمه (الرحمن) فلا شك أن في ذلك سر لطيف ألا وهو - والله أعلم - أن إبراهيم أراد أن يفتح لأبيه باب الرجاء والتوبة فإن الله - عز وجل - رحيم يقبل توبة التائبين مهما عملوا. وكذلك ربما أراد إبراهيم عليه السلام أن يعلم أباه أنه إن أصابك العذاب ممن اسمه (الرحمن) الذي وسعت رحمته كل شيء، فإن هذا يدل على أنه ليس فيمن عذبه الرحمن ذرة تستحق الرحمة؛ إذ لو كان فيه موجب الرحمة لرحمه.

رابعاً: ومن آثار رحمته سبحانه ما يضعه في قلوب الأمهات من رحمة نحو أولادهن سواء كان ذلك عند الإنسان أو الحيوان من وحش وطير وهوام. وأن رحمة الله - سبحانه وتعالى - أعظم وأوسع من رحمة الأمهات بأولادهن.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بسبي فإذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته

(١) البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧).

ببطنها وأرضعته. فقال لنا رسول الله ﷺ: (أثرونَ هذه المرأة طارحةً ولدها في النار؟) قلنا: لا والله! وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله ﷺ: (الله أرحمُ بعبادِهِ من هذه بولدها) «^(١).

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «وبرحمته وضع الرحمة بين عباده ليتراحموا بها، وكذلك بين سائر أنواع الحيوان، فهذا التراحم الذي بينهم بعض آثار الرحمة التي هي صفته ونعمته، واشتق لنفسه منها اسم (الرحمن الرحيم)» «^(٢).

خامساً: وتتجلى رحمة الله - عز وجل - في شرعه المطهر وأحكامه التي كلها خير ورحمة للخلق سواء ما يتعلق بهدايتهم وحفظ أديانهم، أو ما يتعلق بحفظ نفوسهم وأبدانهم، أو ما يتعلق بحفظ عقولهم وأفكارهم، أو ما يتعلق بحفظ أعراضهم وأنسابهم وأولادهم، أو ما يتعلق بحفظ أموالهم وممتلكاتهم.

فكل ما يتعلق بهذه الضروريات الخمس من أحكام إنما جاءت رحمة بالناس بالمحافظة عليها وحماتها من الفساد والعدوان حتى يعيش الناس في أمن وسعادة قد رفع عنهم الحرج والعنت وحفظ لكل ذي حق حقه. كما تظهر رحمة الله - عز وجل - في يسر الشريعة، ورفع الحرج عن العباد فيها، وشرع الرخص التي ترفع المشقة عنهم.

سادساً: كما تتجلى رحمة الله - عز وجل - في المصائب والمكروهات التي يقدرها على عباده المؤمنين فهي وإن كانت مؤذية ومكروهة إلا أن في أعطافها الرحمة والخير بالمصاب، لأن الله - عز وجل - كتب على نفسه الرحمة ورحمته سبقت غضبه.

(١) البخاري (٥٩٦٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ٣/١٢٢.

وقد تظهر هذه الرحمة للمصاب عياناً ويتبين ما في المكروه من الرحمة والالطف وقد لا يتبين ذلك في الدنيا ولكن يظهر آثار رحمة الله فيها في الآخرة بتكفير السيئات، وغفران الذنوب بفعل هذه المصائب.

قال الله تعالى: ﴿ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم - حتى الشوكة يشاكها - إلا كفر الله بها من خطاياها)^(١).

أما ما يصاب به الكفار من المصائب والعقوبات فهي رحمة بالمؤمنين من شر الكفار وتسلطهم، وإفسادهم في الأرض، وهي عدل مع الكفار. وأذكر بهذه المناسبة آية من كتاب الله - عز وجل - ظهر لي فيها معنى خفي يدل على أن ما يصيب المؤمن من ضر ومكروه إنما هو من آثار رحمة الله تعالى وموجب اسمه سبحانه (الرحمن الرحيم).

قال الله تعالى عن مؤمن آل ياسين أنه قال لقومه المشركين: ﴿ إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِدُونِ ﴾ [يس: ٢٣]، فلماذا اختار هذا الرجل الصالح اسم (الرحمن) من بين أسماء الله تعالى؟ وهل (الرحمن) يريد الضر بعباده المؤمنين؟

إن المعنى اللطيف في هذه الآية - والله أعلم - أن الضر إذا أتى من (الرحمن) فإن هذا موجب رحمته ولطفه ويصير الأمر الذي ظاهره الضر

(١) البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣).

في حقيقته رحمة، وخيراً للمؤمن لأن الرحمن لا يصدر عنه إلا الرحمة واللطف والبر: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء: ٩١].

سابعاً: وتتجلى رحمة الله - عز وجل - في رحمته الخاصة بأوليائه، وتوفيقهم، وتسديدهم، وحفظهم، وتيسير أمورهم، وإجابة دعائهم، ونصرهم على أعدائهم الكافرين، وتمكينه لهم في الأرض، وإعانتهم وإغاثتهم في قضاء حوائجهم كما في جلب الرزق والمطر وكشف الكروب، وخرق السنن الكونية لهم، وإظهار الكرامات على أيديهم.

من آثار الإيمان باسميه سبحانه: (الرحمن الرحيم):

أولاً: محبة الله - عز وجل - المحبة العظيمة وذلك حينما يفكر العبد وينظر في آثار رحمة الله - عز وجل - في الآفاق، وفي النفس والتي لا تعد ولا تحصى. وهذا يثمر تجريد المحبة لله تعالى والعبودية الصادقة له سبحانه وتقديم محبته - عز وجل - على النفس، والأهل، والمال، والناس جميعاً، والمصارعة إلى مرضاته، والدعوة إلى توحيده، والجهاد في سبيله، وفعل كل ما يحبه ويرضاه.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

ثانياً: عبودية الرجاء والتعلق برحمة الله تعالى وعدم اليأس من رحمة الله تعالى فإن الله - عز وجل - قد وسعت رحمته كل شيء. وهو الذي يغفر الذنوب جميعاً كما أن الرجاء والنظر إلى رحمة الله الواسعة وآثارها

يثمر الأمل في النفوس المكروبة، ويمسح عليها الرُّوح وحسن الظن بالله تعالى وانتظار الفرج بعد الشدة ومغفرة الذنوب.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال - عز وجل - : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥٣﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الشرح: ٥، ٦]، وقال - عز وجل - : ﴿ أَمِّنْ تُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾... الآية [النمل: ٢٦].

يتحدث الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عن الأمل العظيم في رحمة الله تعالى فيقول: «والأمل بالرب الكريم، الرحمن الرحيم، أن يرى الخلائق منه، من الفضل والإحسان، والعفو والصفح والغفران، ما لا تعبر عنه الألسنة، ولا تتصوره الأفكار. ويتطلع لرحمته إذ ذاك، جميع الخلق لما يشاهدونه فيختص المؤمنون به وبرسله، بالرحمة.

فإن قيل: من أين لكم هذا الأمل؟ وإن شئت قلت: من أين لكم هذا العلم بما ذكر؟

قلنا: لما نعلمه من غلبة رحمته لغضبه، ومن سعة جوده الذي عم جميع البرايا، ومما نشاهده في أنفسنا وفي غيرنا من النعم المتواترة في هذه الدار، وخصوصاً في يوم القيامة، فإن قوله: ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ﴾، ﴿ إِلَّا مَن أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ﴾، مع قوله: ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾، مع قوله ﷺ: (إن لله مائة رحمة أنزل لعباده رحمة، بها

يتراحمون ويتعاطفون، حتى إن البهيمة ترفع حافرها عن ولدها، خشية أن تطأه، من الرحمة المودعة في قلبها، فإن كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى تسع وتسعين رحمة، فرحم بها العباد^(١)؛ مع قوله ﷺ: (لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها)^(٢).

فقل ما شئت عن رحمته، فإنها فوق ما تقول، وتصور فوق ما شئت، فإنها فوق ذلك.

فسبحان من رحم في عدله وعقوبته، كما رحم في فضله وإحسانه ومثوبته. وتعالى من وسعت رحمته كل شيء، وعم كرمه كل حي، وجلّ من غني عن عبادته، رحيم بهم، وهم مفتقرون إليه على الدوام، في جميع أحوالهم، فلا غنى لهم عنه، طرفة عين^(٣).

ثالثاً: اتصاف العبد بالرحمة وبذها لعباد الله تبارك وتعالى:

وقد حض الله - عز وجل - عباده على التخلق بها، ومدح بها أشرف رسله فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومن أسمائه ﷺ أنه (نبي الرحمة)^(٤). ومدح الصحابة - رضي الله عنهم - بقوله: ﴿رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. وخص أبو بكر رضي الله عنه من

(١) سبق تخريجه ص ١٢٧.

(٢) سبق تخريجه ص ١٣٧.

(٣) تفسير السعدي ٣/ ٢٥٢، ٢٥٣.

(٤) مسلم (٢٣٥٥).

بينهم بالكمال البشري في الرحمة بعد الرسل، حيث قال فيه ﷺ: (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر)^(١).

وبين ﷺ أن الرحمة تنال عباده الرحماء فقال: (إنما يرحم الله من عباده الرحماء)^(٢)، وأعظم الرحمة بالناس هدايتهم إلى التوحيد، وإخراجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم - عز وجل - ثم الرحمة بهم في أنفسهم، وأعراضهم، وعقولهم، وأموالهم، ودفع الظلم عنهم، وتفريج كربهم، والإحسان إليهم، وتعزية مصابهم، وقضاء حوائجهم. وأولى الناس بهذه الرحمة الوالدان والأقربون.

قال تعالى: ﴿ وَفَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وكذلك رحمة الأولاد والزوجات. فهذا رسول الله ﷺ قال له الأقرع ابن حابس: «إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً قط» قال الرسول ﷺ: (أو أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك)^(٣).

وعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: «جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما ثمرة، ورفعت إلى فيها ثمرة لتأكلها فاستطعمتها ابتناها فشقت التمرة التي كانت تريد أن

(١) أحمد ٣/ ٢٨١، والترمذي في المناقب وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٩٨١).

(٢) البخاري (٧٣٧٧)، ومسلم (٩٢٣).

(٣) البخاري (٥٩٩٨)، ومسلم (٢٣١٧).

تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: (إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار) «^(١).

ومن الرحمة التي تغيب عن كثير من الأذهان رحمة عموم الخلق مسلمهم وكافرهم، قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في أهل البدع: «ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر - والحيرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم - رحمتهم ورفقت عليهم، أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء، وأعطوا فهوماً وما أعطوا علوماً، وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا تَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦]»^(٢).

ويقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - في نونيته:

وانظر بعين الحكم وارحمهم بها	إذ لا ترد مشيئة الديان
وانظر بعين الأمر واحملهم على	أحكامه فهما إذا نظران
واجعل لقلبك مقلتين كلاهما	من خشية الرحمن باكيتان
لو شاء ربك كنت أيضاً مثلهم	فالقلب بين أصابع الرحمن ^(٣)

رابعاً: التعرض لرحمة الله تعالى بفعل أسبابها:

ومن أعظم ما تستجلب به رحمة الله تعالى فعل ما يرضيه ويأمر به، واجتناب ما يسخطه وينهى عنه باتباع ما جاء به النبي ﷺ قال الله تعالى:

(١) البخاري (١٤١٨)، ومسلم (٢٦٣٠) واللفظ له.

(٢) الفتوى الحموية ص ٥٥٣.

(٣) شرح قصيدة ابن القيم ١/١٣١.

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي تَجَدَّدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ﴿٥٦﴾ [النور: ٥٦]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿٢١٨﴾ [البقرة: ٢١٨].

• وما تستجلب به رحمة الله تعالى ما ذكر سابقاً من الرحمة بالخلق والإحسان إليهم.

• ومن الطرق التي تنال بها رحمة الله - عز وجل - تدبر القرآن والإنصات إليه، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

• وكذلك الاستغفار من أعظم ما تستجلب به رحمة الله تعالى. قال الله - عز وجل -: ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾ [النمل: ٤٦].

• وقد أرشدنا الله - عز وجل - إلى سؤاله سبحانه الرحمة لأنفسنا وأقاربنا، وقد أثنى سبحانه على أنبيائه بذلك، وذكرهم للتأسي بهم ، قال الله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ﴿٨٣﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وقال - عز وجل - عن موسى - عليه السلام - ودعائه لنفسه وأخيه: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي السَّلَامِ - ودعائه لنفسه وأخيه: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي

رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ [الأعراف: ١٥١]، وقال سبحانه: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾ [المؤمنون: ١١٨].

• وما تستجلب به رحمة الله تعالى الرحمة باليتامى، والخدم، والإحسان إليهم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة)^(١) وأشار مالك بالسبابة والوسطى «ومالك أحد رجال السند».

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إخوانكم جعلهم الله فتيه تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه وليلبسه من لباسه ولا يكلفه ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعنه)^(٢).

خامساً: الحياء من الله عز وجل: «إن التأمل في إحسان الله ورحمته يورث العبد حياء منه - سبحانه وتعالى - فيستحي العبد المؤمن من خالقه أن يعصيه، ثم إن وقع في الذنب جهلاً منه استحيا من الله بعد وقوعه في الذنب، ولذا كان الأنبياء يعتذرون عن الشفاعة للناس بذنوبهم خوفاً وخجلاً، وإن هذا الأمر قل من يتنبه له، بل قد يظن كثير من الناس أن التوبة والعفو قد غمر ذنوبه فلا يلتفت إلى الحياء بعد ذلك.

كان الأسود بن يزيد يجتهد في العبادة والصوم حتى يصفر جسده

(١) مسلم (٢٩٨٣)، معنى (وله أو لغيره) أي: قريباً لليتيم كالجدة والأخ والعم أو قريباً لغيره كبقية الأقارب.

(٢) الترمذي (٢٠٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٥٨٧).

فلما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ ، فقال: مالي لا أجزع، والله لو أتيت بالمغفرة من الله لأهمني الحياء منه مما قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين آخر الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحيًا منه»^(١).

ذكر أسماء الله الحسنى التي جاءت في القرآن الكريم مقترنة باسمه سبحانه (الرحيم):

جاء ذكر اسم الله (الرحيم) في القرآن الكريم مقترنًا ببعض الأسماء الحسنى وهي كما يلي:

أولاً: اقترانه باسم الرحمن: كما في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾﴾ ، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٦﴾﴾ ، وجاء هذا الاقتران في ستة مواضع من القرآن وقد مر بنا معنى هذين الاسمين الكريمين وأصل اشتقاقهما والفرق بينهما، وعن الجمع بين هذين الاسمين الكريمين:

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «أما الجمع بين (الرحمن الرحيم): ففيه معنى ... وهو: أن (الرحمن) دالٌّ على الصفة القائمة به - سبحانه - و(الرحيم) دالٌّ على تعلُّقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دالٌّ على أن الرحمة صفته، والثاني دالٌّ على أنه يرحم خلقه برحمته.

وإذا أردت فهم هذا: فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿إِنَّهُمْ بِهِمْ رءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧]، ولم يجيء قط: رحمن بهم.

(١) انظر (التعبد بالأسماء والصفات) وليد الودعان ص ٩٨.

فَعَلِمَ أَنَّ الرَّحْمَنَ: هو الموصوف بالرحمة، ورحيم: هو الراحم برحمته، وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب، وإن تَنَفَّسَتْ عندها مرأة قلبك: لم تَنَجَلْ لك صورتها^(١).

وبذلك يفهم أن الجمع بين (الرحمن) و (الرحيم) يدل على كمال رحمته - سبحانه وتعالى - وشمولها من جهة، وخصوصها من جهة أخرى كما قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمِبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِغَايَتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

ثانياً: اقترانه باسم: الغفور: وهذا كثير في القرآن الكريم بلغ (٧٥) موضعاً تارة بقوله: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس: ١٠٧] وتارة بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ وتارة بقوله: ﴿ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ [سبأ: ٢]، وتارة بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وتارة بقوله: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ، وتارة بقوله: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ، وتارة بقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، وتارة بقوله: ﴿ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، وتارة بقوله: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، وتارة بقوله: ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

ولا يخفى على المتأمل المناسبة بين هذين الاسمين وبين الآية التي ختمت بهما، واقتران هذين الاسمين الجليلين في مواطن كثيرة من القرآن يدل على أن مغفرة الله - عز وجل - لعبده مع استحقاقه للعقوبة بمقتضى عدله إن هو إلا أثر من آثار رحمة الله تعالى. وهذا من مقتضى رحمته التي كتبها على نفسه، وإلا لكان مقتضى العدل أن يؤاخذ

(١) بدائع الفوائد ١/ ٢٣ - ٢٤ «باختصار».

العبد على ذنبه كما يجزيه على عمله الصالح.

فجمع الله سبحانه بين هذين الاسمين الكريمين؛ لأن بالمغفرة تسقط عقوبة الذنوب، ويستتر الله - عز وجل - ذنوب عباده ويقيهم آثامها كما يقى المغفر الرأس من السهام وهذا مقتضى رحمته سبحانه ويدل على ذلك ما ثبت في الصحيح عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: «سمعت النبي ﷺ يقول: (إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستتره فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا، فيقول: نعم أي رب حتى إذا أقره بذنوبه ورأى أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم)»^(١).

كما أن في الجمع بين هذين الاسمين الكريمين إشارة إلى الكرم الغامر، والفضل العميم، فإنه كونه سبحانه (الغفور) يقتضي تجاوزه عن الزلات والعثرات فإذا قرن (الغفور) بـ(الرحيم) الذي ظهرت آثار رحمته فهو الفضل الذي ليس وراءه فضل، فالمغفرة تخلية عن الذنوب والرحمة تخلية بالفضل والثواب.

ثالثاً: اقتران اسم (الرحيم) باسمه سبحانه (الرؤوف):

وجاء هذا الاقتران في ثماني آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩]. وهناك مناسبة لا تحفى على المتأمل بين هذين الاسمين وبين الآية التي ختمت بهما، وهذا الاقتران يدل على أعلى درجات الرحمة، والرافة هي

(١) البخاري (٢٤٤١)، مسلم (٢٧٦٨).

من موجبات الرحمة وآثارها.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «وأقرب الخلق إلى الله تعالى أعظمهم رأفة ورحمة كما أن أبعدهم منه: من اتصف بضد صفاته»^(١).

ولذلك وصف الرسول ﷺ بأنه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وهذه من الأسماء التي تطلق على الله تعالى وعلى غيره إلا أنه لا يجوز أن يتسمى المخلوق بـ(الرؤوف الرحيم) على الإطلاق وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «إنه لا يجوز أن يتسمى بأسماء الله المختصة به، وأما الأسماء التي تطلق عليه وعلى غيره كـ(السميع والبصير) و (الرؤوف والرحيم) فيجوز أن يخبر بمعانيها عن المخلوق، ولا يجوز أن يتسمى بها على الإطلاق بحيث تطلق عليه كما تطلق على الرب تعالى»^(٢).

رابعاً: اقتران اسمه [الرحيم] باسمه سبحانه [التواب]:

وجاء هذا الاقتران في (تسعة) مواضع من القرآن منها قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٦]، وسر الاقتران بين هذين الاسمين الكريمين واضح، ذلك أن من آثار وثمار رحمة الله تعالى توفيقه لعباده إلى التوبة ثم

(١) الروح ص ٥٥٧.

(٢) تحفة المولود بأحكام المولود ص ١٠٨.

قبولها منهم، قال الله - عز وجل - : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٢٧].

وتوفيق العبد للتوبة ثم قبولها منه يترتب عليه حسن العاقبة، والنجاة من عذاب الله تعالى وتلك رحمة خاصة، بل إنه سبحانه من عظيم رحمته بعبده أنه يفرح بتوبته فرحاً عظيماً كما جاء في الحديث الصحيح السابق ذكره: (لله أفرح بتوبة عبده - حين يتوب إليه - من أحدكم كان على راحلة بأرض فلاة... الحديث) (١).

خامساً: اقتران اسمه {الرحيم} باسمه سبحانه {العزیز}:

وجاء هذا الاقتران في (١٣) موضعاً من القرآن الكريم منها (٩) مواضع في سورة الشعراء وذلك بالتعقيب على قصة كل نبي مع قومه، بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [٨] وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ [الشعراء: ٨، ٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء: ٢١٧]، وقوله تعالى: ﴿ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ [يس: ٥]، وقوله - عز وجل - : ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٢]، وقوله سبحانه: ﴿ ذَلِكَ عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [السجدة: ٦].

واقتران هذين الاسمين الكريمين واضح لمن تأمله حسب السياق القرآني في الآية التي يختم فيها بهذين الاسمين الجليلين.

ففي سورة الشعراء لما كانت الآية هي بمثابة التعقيب على قصة كل نبي مع قومه ناسب ختمها بهذين الاسمين الكريمين، وذلك أن ما حصل

(١) سبق تخريجه ص ١٣٦.

للمكذبين من عذاب وهلاك إنما هو مقتضى عزته سبحانه وقوته، وغلبته وهو موجب اسمه سبحانه (العزیز) وما حصل من إنجاء للرسول وأتباعهم إنما مقتضى رحمته ولطفه وهو موجب اسمه سبحانه (الرحيم).

وبالجملة فإن اقتران هذين الاسمين الكريمين يدل على الكمال والعدل والحمد والعزة والرحمة، وذلك ببيان أنه سبحانه مع كونه عزيزاً قوياً غالباً قاهرًا لكل شيء فلا ينفي أن يكون رحيمًا برًا محسنًا. ولا يعني كونه سبحانه رحيمًا بعباده أن لا يكون قوياً غالباً.

فرحمته سبحانه ناشئة عن قدرة، وقوة، وعزة لا عن ضعف، وعجز، واجتماع الوصفين يدل على صفة كمال ثالثة وهي: جريان عزته - سبحانه وتعالى - على سنن الرحمة التي تستلزم إفاضة الخير والإحسان.

سادساً: اقتران اسمه (الرحيم) باسمه سبحانه (البر):

وجاء هذا الاقتران مرة واحدة في القرآن وذلك في قوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿وَأَقْبَلْ بِعَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْهِنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٥ - ٢٨]، والبر: هو المحسن الرفيق المتفضل، وهذه الصفات هي من موجبات رحمته الخاصة بعباده المؤمنين.

فبرُّ الله - عز وجل - بعباده الذي هو عبارة عن توالي منه، وتتابع إحسانه وإنعامه أثر من آثار رحمته الواسعة التي غمرت الوجود، وتقلب فيها كل موجود، وعن طريق تلك المنن الجزيلة، وذلك الإحسان العميم

عرف العباد أن ربهم رحيم، فاقتران (البر) بـ (الرحيم) لعله من اقتران المسبب بالسبب.

وتقديم (البر) على (الرحيم) أبلغ في المدح، والثناء بالترقي من الأخص إلى الأعم، ومن المسبب إلى السبب^(١).

وسيأتي التفصيل في معاني وأثار اسمه سبحانه (البر) في باب إن شاء الله تعالى.

سابعاً: اقتران اسمه [الرحمن] باسمه سبحانه [الرب]:

وقد سبق ذكر هذا الاقتران عند الحديث عن اسم (الرب) سبحانه وذلك عند قوله تعالى: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨].

من آثار اسم (الرب) سبحانه أنه: (رحيم) كما في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢٢﴾﴾ [الفاتحة: ٢، ٣] فصفة الرحمة من آثار ربوبيته سبحانه (فالرب) على الحقيقة لا يمكن إلا أن يكون رحيمًا، وأن المؤمنين لم يدخلوا الجنة ويتلقوا السلام من ربهم سبحانه إلا برحمته - عز وجل - والتي هي من موجبات ربوبيته تبارك وتعالى.

ثامناً: اقتران اسمه سبحانه [الرحيم] باسمه - عز وجل - [الودود]:

وجاء هذا الاقتران مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود: ٩٠].

ولا يخفى وجه الارتباط بين هذين الاسمين الجليلين، لأن معنى (الودود) الذي يُحِبُّ ويحب عباده التوايين المنيين؛ وهذا من موجبات رحمته.

(١) انظر مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام في القرآن الكريم؛ د. نجلاء كردي ص ٦٢٤.

وقد اختار شعيب رضي الله عنه هذين الاسمين الكريمين وهو يدعو قومه إلى الاستغفار والتوبة، وذلك ليطمعهم في توبة الله - عز وجل - عليهم وأنها مقتضى رحمته سبحانه ومحبته - عز وجل - للمنيين إليه.

يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّو رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ أي: لمن تاب وأتاب؛ يرحمه فيغفر له، ويتقبل توبته ويحبه. ومعنى الودود من أسمائه تعالى أنه يحب عباده المؤمنين، ويحبونه، فهو فعول بمعنى فاعل ومعنى مفعول^(١).

وهنا توجيه آخر في تفسير اقتران هذين الاسمين الكريمين، ألا وهو: أن الرحمة قد تتوجه إلى من لا يُحب، أما (الرب) تعالى فإنه يغفر لعبده إذا تاب ويرحمه ويحبه مع ذلك، فإذا تاب العبد إلى ربه أحبه ربه سبحانه ولو كان منه ما كان.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «وما ألطف اقتران اسمه (الودود) بـ(الرحيم) وبـ(الغفور) فإن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه، وكذلك قد يرحم من لا يحب، و(الرب) تعالى يغفر لعبده إذا تاب إليه ويرحمه ويحبه مع ذلك، فإنه يحب التوابين. وإذا تاب إليه عبده أحبه ولو كان منه ما كان»^(٢).



(١) تفسير السعدي ٢/ ٣٨٥.

(٢) التبيان في أقسام القرآن ص ٥٩.